حتمية التضامن العربي والولاء الوطني
في مواجهة الإرهاب والتحديات

٢٢ صفر ١٤٣٧هـ الموافق ٤ ديسمبر ٢٠١٥م

أولا : العناصر :-

١. دعوة الإسلام إلى الوحدة والتعاون.
٢. خطورة التفرق والاختلاف.
٣. الولاء للوطن مطلب شرعي وواجب وطني.
٤. التضامن العربي والإسلامي ضرورة حتمية.
٥. آثار التضامن العربي في مواجهة الإرهاب والتحديات.

ثانيا : الأدلـــة :-

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران: ١٠٣].
٢. وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران: ١٠٥].
٣. وقال تعالى:{وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦].
٤. وقال تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:٢].
٥. وقال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:١٠].
٦. وقال تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٩٢].
٧. وقال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام: ١٥٣].

الأدلة من السنة:

١. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[رواه مسلم].

٢. وعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) [صحيح البخاري].

٣. وعن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[صحيح البخاري].

٤. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» [صحيح مسلم].

٥. وعن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال: قال رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[متفق عليه].

٦. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » [صحيح البخاري].

ثالثا الموضوع:

من عظمة الدين الإسلامي أنه دين يدعو إلى القيم الإنسانية والأخلاقية ، ليس بين أتباعه فقط ، بل بين جميع البشر ، ويحث أبناءه على نشر هذه القيم فيما بينهم ، ومن ذلك دعوته إلى الوحدة والتكاتف ، والتعاون والتآلف ، والتعاطف والتضامن ، والأخوة والتآزر ، حتى يكونوا جميعًا كالجسد الواحد من أجل تحقيق السلام الاجتماعي ، وبذلك جاءت النصوص الشرعية من كتاب الله – تعالى– وسنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[آل عمران: ١٠٣]. وقال سبحانه:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[المائدة:٢].

وجاءت الأحاديث النبوية تحث المسلمين على ضرورة الوحدة والتضامن فيما بينهم ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما)قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[رواه مسلم]، وعَنِ عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال : قال رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [متفق عليه].

فوحدة الأمة والتعاون والتنسيق فيما بينها – في جميع المجالات – مطلب أساس لا غنى عنه لأي أمة تريد الفلاح والتقدم والرقي ومواجهة الشدائد والتحديات ، يقول الحق سبحانه :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:١٠]، فالأمة التي يريدها الإسلام أمة واحدة متآلفة متعاونة ، يقول تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٩٢] ، ويقول سبحانه:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[المؤمنون:٥٢] . وكيف لا تكون هذه الأمة واحدة وقد وحد الله عقيدتها وشريعتها، ووحَّدَ غايتها ومنهاجها ، فقال سبحانه : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام:١٥٣]. ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) – داعيًا إلى الاتحاد ووحدة الصف ، ناهيًا عن التفرق والاختلاف– : « إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ» [رواه مسلم]. ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري). فلابد من المسارعة إلى الوحدة واجتماع الكلمة ، والتعاون والتضامن ، ونبذ الاختلاف والتمزق بين المسلمين ، والتمسك بالأخوة الإسلامية وتطبيقها في شتى ميادين الحياة.

وكما دعا الإسلام إلى الوحدة والتآلف نهى وحذر من التفرق والاختلاف ، فهما سبب رئيس لكل ضعف وانكسار ، يقول الله تعالى:{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥]، ويقول سبحانه: {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[الأنفال:٤٦]. فإن الاختلاف والتفرق بين المسلمين له خطورته وأضراره البالغة ، فيمنع التعاون والتضامن فيما بينهم ، مما يتسبب في تفكيك الأمة وتمزيق أوصالها ، وهدم وحدتها ، وتفريق كلمتها ، وتبديد طاقاتها المادية ، والعسكرية ، والفكرية .

لا شك أننا أكثر من أي وقت مضى في حاجة ملحة إلى تعميق وترسيخ الانتماء الوطني ، والإحساس بقيمة وأهمية الدولة الوطنية ، وإعلاء المصلحة الوطنية على أي مصالح أخرى ، وأن يكون الإخلاص لها مقدما على أي مصالح حزبية أو فئوية أو تنظيمية محلية أو دولية ، فقد أعلى الإسلام من قيمة الوطن وأهميته ، حيث نظر نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلى مكة المكرمة حين أُخرج منها مخاطبا إياها :« عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ » [رواه أحمد] ، ولما أحلَّ (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة عائدًا من خيبر أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ثم قال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا » (صحيح البخاري)، والمراد بـ " لَابَتَيْهَا ": أي ما بين طرفي المدينة ، ويقول شوقي:

وللأوطان في دم كل حر ***** يد سلفت ودين مستحق

ولا شك – أيضًا– أن أمتنا العربية في هذه الآونة تمر بمرحلة صعبة ، تستوجب من الجميع التكاتف والتعاون والاعتصام ، وأن تكون يداً واحدة في مواجهة التحديات ، فعن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) [رواه البخاري].

ومن ثمَّ أصبحت الوحدة العربية والتضامن العربي ضرورة حتمية لها أهميتها في حماية مصالحها وأنظمتها السياسية، ومواجهة أطماع المستعمرين ومؤامرات الغزاة لإضعاف الأمة العربية وتفتيتها ليسهل لهم السيطرة عليها.

إن التضامن العربي الحقيقي يجعل من الأمة العربية مجتمعة رقمًا صعبًا لا يمكن تجاوزه في المحافل الدولية السياسية ، أو التكتلات الاقتصادية ، أو في مجال الفكر والثقافة والإنتاج الإعلامي ، فالأمة العربية متكاملة متضامنة يمكن أن تشكل كيانًا سياسيًّا واقتصاديًّا كبيرًا بما تملك من إمكانات وميزات، فالتضامن العربي يعنى التعاون الحقيقي من أجل بناء المجتمعات ، وتقوية وحدة الأمة ، ويجب أن يشمل مختلف نواحي الحياة سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا وعسكريًّا ، لأن التضامن القاصر على جانب دون بقية الجوانب يظل قاصرًا ، غير ملب لطموحات الأمة ، فالأمة في أشد الحاجة إلى نهضة شاملة ، وتضامنٍ شاملٍ، والتضامن الشامل يتطلب تكامل الجهود ، وحشد الطاقات ، وهذه الشمولية تتطلب منا جميعًا العمل

معًا لمواجهة حقيقية للإرهاب والجماعات الإرهابية التي يتعرض لها العديد من أقطار أمتنا ، حتى يتحقق الأمن والسلام للأمة العربية وللعالم كله.

ذلك أن ظاهرة الإرهاب تعدّ من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم العربي والإسلامي ، فهي ليست وليدة اليوم ولا الأمس ، وإنما عرفها العالم منذ وقت طويل ، ولكن الجديد هو ازدياد حوادثها، واتساع نطاقها ، وازدياد ضحاياها ، وظهور أشكال جديدة لها بشكل مخيف ، إذ اتجه الإرهاب إلى القتل والتدمير للأبرياء دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ وشاب ، وتعدى ذلك إلى الحرق والتنكيل والتمثيل بالقتلى ، وفي كثير من الأحيان تحت شعار إسلامي ، وبصيحات الله أكبر ، مع أن الإسلام براء من كل ذلك ، فهو دين الرحمة ، ودين الحضارة ، ودين الإنسانية ، حرم الدماء والأعراض والأموال ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ}[الأنعام:١٥١]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبة حجة الوداع الجامعة: « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هذا ... ، ثُمَّ قَالَ : « أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ » فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «اللهُمَّ اشْهَدْ»(صحيح مسلم ومسند أحمد واللفظ له).

ولا شك في أن الأعوام الأخيرة شهدت على وجه الخصوص تطور هذه الظاهرة!! فالجرائم الإرهابية في تزايد مستمر ولن ينتهي هذا التزايد إلا إذا تكاتفت جميع الدول لمواجهة هذه الظاهرة ، فالتضامن العربي بمفهومه الشامل يعنى التعاون الحقيقي من أجل مواجهة التحديات ، والعمل معًا على القضاء على جميع الخلايا والتنظيمات الإرهابية ، مع بناء المجتمعات ، وتقوية وحدة الأمة ، ومن ثم فإن للتضامن والتعاون أثراً عظيماً ، في وحدة الأمة وتماسكها ، وفي توطيد العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والدول ، وتعزيز أسس الصداقة والسلام بين الشعوب ، والتخفيف من آثار الإرهاب الغاشم الظالم التي تواجهه ، والقدرة على مواجهة هذه التحديات التي تمر بها.

على أن التضامن الشامل يتطلب تكامل الجهود ، وحشد الطاقات ، وهذه الشمولية تقتضي استثمار الخبرات والعقول من داخل الأمة وخارجها ، وتقتضي أن نعمل معًا في شتى المجالات ، وهو ما تفخر به أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فالدين واحد ، والنبي واحد ، والقبلة واحدة ، والثقافة واحدة، والتاريخ مشترك ، وكذا الحاضر والمستقبل ، فيجب أن نعمل على كل ما يحقق للأفراد والأمة الراحة والهناء لصالح أبناء الأمة جميعا.

ومن هنا نؤكد على أن التضامن والتعاون العربي ضرورة ملحة بين الشعوب العربية ، لمواجهة التحديات وحماية الأمن القومي العربي والمصالح العربية المشتركة ، وبما لا يحتمل أي تسويف أو تأخير في ضوء ما تشهده الأمة العربية من تحديات ، وبخاصة مواجهة التنظيمات والعناصر الإرهابية ، حتى تُستأصل شأفتها ونجتثها من جذورها.